الفصل الثامن

"دعاء سورة الفرقان "واجعلنا للمتقين إماما

ينسف نظرية الإمامة عند علماء الشيعة

ندرس في هذا الفصل الآيات الأخرى التي يستدل بها مركز الأبحاث العقائدية على أن "الإمامة جزء من شرع النبي الأكرم ﷺ، جاء بها الوحي الكريم كما جاء بالصوم والصلاة والزكاة، وأوجب علينا الإيمان بهما ، وكذلك أوجب علينا الإيمان بالامامة، لأنها من عند الله وجزء من وحيه". (مصدر سابق)

يستشهد المركز بقول الله تعالى في (سورة الزخرف : ٢٨) وهو يتحدث عن إبراهيم عليه السلام : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وقال تعالى في (سورة السجدة ٢٤) : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾، وقال تعالى في (سورة الأنبياء ٧٣) : ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾.

والواضح أنه لا يمكن الاستدلال بهذه الآيات على ما يقوله علماء الشيعة عموما، ويعبر عنه مركز الأبحاث العقائدية بهذا النص الذي سبق الاستشهاد به في الفصل الرابع: "إننا نعتقد أن الدين الحق الواقعي الذي أراده الله سبحانه وتعالى والذي أرسل به رسول الله ﷺ وهو الإسلام والحنيفية، ومن أركانه تعيين النبيّ ﷺ للإمام والخليفة بعده إلى اثني عشر إماماً وخليفة آخرهم المهدي (عجل الله فرجه). ونصطلح عليه بالإيمان وأن من لم يؤمن بالإمامة خرج عن الإيمان. أي عن الدين الواقعي الذي أراده الله (المذهب الحق)".

سياق الآية واضح ولا يفسر بنظرية الإمامة

لننظر في سياق الآية ٢٨ من سورة الزخرف: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾. (الزخرف: ٢٦-٢٨)

هذه راية التوحيد رفعها إبراهيم عليه السلام، وتركها لذريته من بعده. قال الطبري في تفسيره: يَقُول تَعَالَى ذِكْره : وَجَعَلَ قَوْله : ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ وَهُوَ قَوْل : لَا إِلَه إِلَّا اللَّه، كَلِمَة بَاقِيَة فِي عَقِبه، وَهُمْ ذُرِّيَّته، فَلَمْ يَزَلْ فِي ذُرِّيَّته مَنْ يَقُول ذَلِكَ مِنْ بَعْده".

وبعد هذا الشرح أسأل كل عاقل: كيف تدلنا هذه الآية على ولاية سيدنا علي أو ولاية الإمام المهدي الغائب، أو الأئمة العشرة الآخرين؟ كيف تدلنا هذه الآية على أصل عظيم جدا من أصول الدين يعتبر منكره خارجا من دائرة الإيمان؟

كيف يستدل بهذه الآية لإثبات أمر من أعظم أمور الإسلام؟

إنه منهج غير سليم ولا مقبول.

آية في فضل بني إسرائيل.. ما علاقتها بنظرية الإمامة؟

ثم انظر إلى الآية الكريمة رقم ٢٤ في سورة السجدة: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ". هذه آية تتحدث عن الخير الذي ناله بنو إسرائيل عندما التزموا بطاعة الله تعالى وطاعة أنبيائه، فجعل الله منهم أئمة حق يدعون للهدى والصلاح.

كيف تدلنا هذه الآية على ولاية سيدنا علي، أو ولاية الإمام المهدي الغائب، أو الأئمة العشرة الآخرين؟ كيف تدلنا هذه الآية على أصل عظيم جداً من أصول الدين يعتبر منكره خارجا من دائرة الإيمان؟

كيف يستدل بهذه الآية لإثبات أمر من أعظم أمور الإسلام؟

إنه منهج غير سليم ولا مقبول.

آية في فضل عدد من الأنبياء، ما علاقتها بنظرية الإمامة؟

ونأتي إلى الآية الكريمة رقم ٧٣ في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

هذه الآية تذكر فضل الله تعالى على كوكبة من الأنبياء الكرام، هم: إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. لقد جعلهم الله تعالى أئمة وأعلاما للهدى والرشاد وطريق الحق، يقتدي بهم الناس. هذا فضل الله على نخبة من عباده المصطفين الأخيار صلى الله وسلم عليهم صلاة وسلاما كثيرين.

وهنا أكرر السؤال السابق: كيف تدلنا هذه الآية على ولاية سيدنا علي، أو ولاية الإمام المهدي الغائب، أو الأئمة العشرة الآخرين؟ كيف تدلنا هذه الآية على أصل عظيم جدا من أصول الدين يعتبر منكره خارجا من دائرة الإيمان؟

كيف يستدل بهذه الآية لإثبات أمر من أعظم أمور الإسلام؟

إنه منهج غير سليم ولا مقبول.

القول بالإمامة يحتاج إلى دليل واضح لا شبهة فيه

إن الله تعالى اختص بعض عباده بفضائل وكرامات كثيرة، لكن لا يمكن الاستدلال بهذه الفضائل في سياق نسبتها لآخرين إلا بدليل واضح مقنع لا شبهة فيه.

هذا مثلا بعض فضل الله تعالى على سيدنا عيسى عليه السلام:

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ

عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾. (المائدة: ١١٠)

هل يجوز لعاقل أن يقول بعد قراءة هذه الآية: إن محمداً عليه الصلاة والسلام، إمام الأنبياء جميعا، يحيي الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فينفخ فيها فتكون طيرا ويبرئ الأكمه والأبرص؟

طبعا لا. النبي ﷺ لم يزعم ذلك لنفسه. ولا المسلمون ولا كتاب السير.

سيدنا موسى عليه السلام شق بعصاه البحر؛ فهل نجعل ذلك حجة على أن نبينا عليه الصلاة والسلام يفعل مثله؟

طبعا لا.

دعاء المؤمنين في سورة الفرقان يرد أقوال الشيعة في الإمامة

ثم أقول لإخوتي علماء الشيعة، ولكل الباحثين المنصفين: انظروا إلى قول الله تعالى في ختام سورة الفرقان، وهو يورد دعاء عباد الرحمن، التائبين الطامعين في فضل الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾. (الفرقان: ٧٤)

أي قدوة وأسوة في الخير.

اقرؤوا هذه الآية، ثم تذكروا قول الكاتب الشيعي السيد كمال الحيدري: "الإمامة جزء في نظام التكوين الإلهي لهداية البشر تماما كما هي النبوة"،

وانظروا إلى قول الكاتب الشيعي محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه عن "أصل الشيعة وأصولها": الإمامة منصب إلاهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيد بالمعجزة.. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه". (ص ٦١)

وقوله في معرض التعليق على الآية ١٢٤ من سورة البقرة واعتبارها "صريحة في لزوم العصمة في الإمام لمن تدبرها جيدا وأن يكون أفضل أهل زمانه في كل فضيلة وأعلمهم بكل علم". (ص ٦٢)

إذا كان ما يقوله هذان الفاضلان صحيحا، فكيف يطلبها عباد الرحمن في سورة الفرقان؟

كيف يطلبون منصبا محتكرا لإمام يجب أن يكون "أفضل أهل زمانه في كل فضيلة وأعلمهم بكل علم"؟

إذا كانت الإمامة "جعلاً إلاهياً"، أي أمراً مقرراً من عند الله عز

وجل، باختياره هو وتعيينه، فكيف يطلبها عباد الرحمن، بصيغة الجمع كما هو واضح في الآية، وليس بصيغة المفرد؟

ربما يقول باحث شيعي: إن عباد الرحمن هنا هم الأئمة الإثنا عشر فقط. ولكن هذا التفسير أيضا لا يستقيم، كيف يطلب الإمام المعصوم من الله تعالى أن يجعله للمتقين إماما، وهو يعلم أنه الإمام المعصوم بأمر الله تعالى ونصه واختياره؟

وقد يحاول آخر أن يلوي عنق الآية ويقول إنهم لا يقصدون أن يكونوا أئمة يقتدى بهم، وإنما أن يكونوا مقتدين بالأئمة المعصومين. وهذا إنكار لمعنى الآية الواضح وعناد ومكابرة، لأن الله تعالى لا يصعب عليه التعبير عن مراده، ولو كان المقصود أن عباد الرحمن يطلبون منه الهداية لاتباع الأئمة لجاءت الآية صريحة بهذا المعنى.

إنما نص الآية واضح وصريح لا لبس فيه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. (الفرقان: ٧٤)

الإمامة بنص هذه الآية مكتسبة، يجوز لعباد الرحمن طلبها من الله عز وجل، سواء بمعناها الديني الضيق، أي أن يكون الإنسان أسوة وقدوة صالحة في العلم والفهم الصحيح للإسلام والقدرة على إرشاد الناس، أو بمعنى الحكم والولاية السياسية.

هذا كله مما يدل على بطلان نظرية علماء الشيعة الإثني عشرية من أن الإمامة "جعل إلاهي"، وبطلان قولهم: "إننا نعتقد أن الدين

الحق الواقعي الذي أراده الله سبحانه وتعالى والذي أرسل به رسول الله (ﷺ) وهو الإسلام والحنيفية، ومن أركانه تعيين النبيّ (صلى الله عليه وآله) للإمام والخليفة بعده إلى اثني عشر إماماً وخليفة آخرهم المهدي (عجل الله فرجه). ونصطلح عليه بالإيمان وأن من لم يؤمن بالإمامة خرج عن الإيمان ـ أي عن الدين الواقعي الذي أراده الله (المذهب الحق)".